جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

شعبة علوم الإعلام والاتصال.

السنة الأولى ماستر سمعي بصري.

السداسي الأول

مقياس: تاريخ السمعي البصري في الجزائر

المحاضرة الأولى: السينما في الجزائر.

عرفت الجزائر السينما منذ عهد الاستعمار الفرنسي، وقد اصطلح عنها آنذاك بالسينما الكولونيالية فانبثقت عنها سينما حرب التحرير التي أصبحت واقعا فعليا منذ إنشاء مدرسة التكوين السينمائي عام 1957، التي كونت مجموعة من المخرجين الطامحين في معانقة الحرية، فانعكست تلك الطموحات في أفلامهم التي قدمت صورا حية لجرائم الاستعمار الذي جثم على صدور الجزائريين حينا من الدهر، كان ولازال مذكورا بين ثنايا مدونات الأرشيف التاريخي.

إن دخول السينما إلى الجزائر ترافق تاريخيا مع مرحلة اكتمال التشكيلة الاستعمارية، نتيجة السياسة التي انتهجتها، وبالتالي تسخير الأساليب الإيديولوجية والفكرية، كوسائل لتقوية وتبرير هذه السياسة، ومن هذا المنظور أدخلت السينما إلى الجزائر، فمباشرة بعد العروض الأولى التي قدمها الإخوة "لوميار" بمناسبة المعرض الدولي بباريس سنة 1896، كلف هذا الأخير أحد أعوانه فيلكن ميزقيس F.Mesguich بالذهاب إلى الجزائر لالتقاط بعض الصور عن المدن الجزائرية وفي سنة1897أخرج "فيلم المسلم المضحك" M.Rigolo، وبعده بعشر سنوات أخرج فيلما آخر هو "علي ينفخ في الزيت" Ali Douf a L'huile .وهذه العناوين وحدها كفيلة بكشف المضمون.

البدايات الأولى لسينما حرب التحرير.

باعتبار أن الثورة الجزائرية حدثا تاريخيا له تداعياته الفنية، فقد اشتغلت المدونة السينمائية عليها باعتبارها منظومة مرجعية تؤسس لجمالية الحدث وفنيته، ليس باعتبارها حدثا تاريخيا وحسب، إنما لما يختزنه موضوع الثورة من طاقات وعناصر جديرة بالمعالجة الدرامية.

ذلك أن الثورة تاريخ وذاكرة؛ وللتاريخ تجاذباته الهوياتية التي تشكل رباطات علائقية مع الوعي المضمر، أو وعي الذات بجوهرها، ومن ثم كان الاشتغال عليه فنيا بمثابة إعلان عن

هوية مكبوتة تحاول الانبعاث من واقع كامن للذوق فيوضاتها عبر سراديب النص، وتفرعاته.

فقد كان سبب إنشاء سينما جزائرية سياسي خالص، وهو إدراك المسؤولين أهمية السينما في التعريف بالقضية الجزائرية في المحافل الدولية، وبخاصة الدول الصديقة المساندة لثورات التحرير في العالم، ومنها الدول العربية كمصر وتونس والمغرب، وبالفعل حدث ما كان يرمي إليه المخططون للثورة، فظهرت مجموعة أفلام وثائقية منها "مدرسة التكوين السينمائي" و"ممرضات الجيش الوطني الشعبي" و"الهجوم على مناجم الونزة" سنة 1957، أما جزائرنا فقد أسند إخراجه إلى ثلاثة من رواد السينما الجزائرية الدكتور شولي وجمال شندرلي ومحمد لخضر حامينا، اعتمادا على فيلم أخرجه روني فوتيي1954، مع إضافة الكثير من الصور الحديثة من الجبال الجزائرية التي التقطها جمال شندرلي أحد مساعدي المخرج طاهر حناش.

إذن شكلت السينما ركيزة جوهرية في عرض الثورة التحريرية منذ اندلاعها وفق إستراتيجية تكشف حقيقة المستعمر بداية، وحق الشعب الجزائري في الحرية نهاية، ففي جعبة الثورة أكثر من 50 شريطا روائيا، ومئات الأشرطة التوثيقية، التي تدور حول مساعي ومرامي الثورة، آخذة منها تارة، وكاشفة بعض تفاصيلها تارة أخرى، وكأن السينمائيين الذين تناولوا موضوع الثورة جزائريين كانوا أو أجانب يسعون بذلك إلى كتابة تاريخ الجزائر ونضاله بالدم والضوء وضوء آلة العرض .

باعتبار أن الفن عموما رصد لمختلف المحطات التي استوقفت المسار التاريخي للأمة الجزائرية، وسجل للحوادث الكبرى التي طبعت هذا المسار، ومن ثم تبرز القيمة التاريخية للسينما ذلك أن التاريخ قد يسكت عند الفواصل ويتحاشى الهوامش، غير أن العمل السينمائي تشد اهتماماته حتى دقائق الأمور وصغريات المجريات، فيتوغل في التفاصيل؛ وأحيانا العمل السينمائي تصنعه الجزئيات فيأخذ مادته منها ويجعلها أرضيته وصياغتها وفق رؤية أخرى غير رؤية المؤرخ .